المحاضرة التاسعة:علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى

لقد كشفت نشأة علم الاجتماع وتطوره عن تعدد موضوعاته ومشكلاته وتنوع قضاياه التي يهتم بمعالجتها ودراستها خاصة أواخر القرن العشرين، وهذا ما ترتب عنه تفرع هذا العلم إلى مجموعة من المجالات ذات أبعاد سوسيولوجية مختلفة، وتطور هذه المجالات وتنوعها لم يأت من فراغ إنما كان نتيجة تضافر وتداخل مجموع العلوم الإنسانية مع علم الاجتماع كعلم التاريخ والفلسفة والاقتصاد وغيرها وفيما يلي ذكر لبعض هذه العلوم وتداخلها مع علم الاجتماع ونقاط الالتقاء ومجالات الاستفادة من بعضها البعض.

1) علاقة علم الاجتماع بالتاريخ:

علم التاريخ بوصفه أبو العلوم وأقدمها هو علم إنساني اجتماعي يهتم بتاريخ الحوادث والمواقف الإنسانية، وعالم الاجتماع لا يمكنه دراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم ولا المسائل الاجتماعية، وتتبع تطورها إلا بالرجوع إلى التاريخ باعتباره السجل الحافل بالقضايا والأحداث والحقائق، كما عالم الاجتماع يهتم بدراسة التاريخ من خلال الفهم التحولي للعمليات الاجتماعية المتكررة للجماعة أو المجتمع، والوقوف على العلاقات التي تربط بين الماضي والحاضر و تأثيرها في المستقبل والكشف عن النظريات التي تفسر التطور التاريخي.

ومن خلال هذا فإن أي مقاربة تصبو لدراسة تطور الفكر الاجتماعي ونمو المجتمعات لا تكون إلا عن طريق التواصل المعرفي مع مراحل سابقة في التاريخ، حيث أن المجتمعات تأسست وتطورت من خلال التعاقب التاريخي وما يحمله من تفاعلات ومعطيات، وبهذا فالتاريخ يوفر لعلم الاجتماع إطارا مرجعيا لدراسة التغير الاجتماعي وملامح نشأة وتكون المجتمعات عبر الزمن.

2) علاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان هو علم أقدم من علم الاجتماع ظهر خلال القرنين 16م و17م، وهو علم يهتم ببيان أوجه النشاط الإنساني في عصور قديمة، ومظاهر حياة الإنسانية ودراستها دراسة شاملة كالحضارة البشرية والتطور المادي للإنسان، وتكمن أهمية علم الاجتماع لعلم الأنثروبولوجيا في أن كل علم يعتمد على العلم الآخر، أي أن علم الاجتماع يزود الأنثروبولوجيا بمعلومات تفصيلية عن ماهية وطبيعة مشكلات المراحل الحضارية وطبيعتها التي يشهدها التاريخ، وكذا علم الأنثروبولوجيا يزود علم الاجتماع باللغات ونشأتها الثقافية وتفرعاتها وأنماط الحياة الاجتماعية.

3) علاقة علم الاجتماع بالفلسفة:

يذهب علماء الفكر الاجتماعي إلى القول أن علم الاجتماع حصيلة مجموعة كبيرة من المذاهب والنظريات الفلسفية، حيث أنه نشأ في أحضان الفلسفة ونما بنمو الفكر الفلسفي، وكلا العلمين مترابطان فعلم الاجتماع هو الدراسة العلمية للسلوك البشري والفلسفة هي دراسة الأسئلة الأساسية حول طبيعة الواقع والوجود والمعرفة، ومن هنا ظهرت الفلسفة الاجتماعية كأحد فروع الفلسفة و قد نمت في رحاب اليونان القديمة وتبلورت معالمها خلال العصور الوسطى وتطورت خلال عصر التنوير والتي اهتم بدراسة طبيعة الواقع والوجود الاجتماعي، ويلتقي علم الاجتماع بالفلسفة في عدة نقاط منها العلاقة بين المادة والوعي أو ما يسمى بالعلاقة بين الأمور الذاتية والأمور الموضوعية.

وبهذا فقد شكل علم الاجتماع علما مستقلا بذاته له مجاله ومنهجه الخاص إلا أنه ليس له غنى عن ما تمده الفلسفة من قواعد استقرائية واستنباطية وكذا جذور معرفية تلقى الاهتمام المشترك بين العلمين.

4) علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد:

يعد علم الاقتصاد من العلوم الاجتماعية التي شهدت تطورا ملحوظا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، وتبلورت معالمه على يد عديد علماء العصر الحديث أبرزهم آدم سميث والذي أطلق عليه مسمى علم الثورة، وقد تطور علم الاقتصاد في العالم الغربي في ظل المدرسة الكلاسيكية بانجلترا، وهو يدرس العلاقات المتبادلة بين المتغيرات الاقتصادية مثل أساليب الإنتاج، التوزيع و الاستهلاك.

وتكمن علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد في علاقة التأثير والتأثر بينهما بحيث يلتقيان في أكثر من موضوع، ولعل أهم هذه الموضوعات الثورة التي تعد جوهر علم الاقتصاد وهي موجودة في المجتمع وتنتج عن طريق العمال أو الأيادي العاملة والذين تربط بينهم نظم وأوضاع اجتماعية، ومنه فعلم الاجتماع يستفيد من نتاج البحث الاقتصادي للظواهر الاقتصادية بأبعاد اجتماعية، وبالمقابل يستفيد علم الاقتصاد من البحث الاجتماعي للظواهر ذات الأبعاد الاقتصادية، ويؤكد عديد الباحثين أن العلاقات الاقتصادية وأشكال وظواهر النشاط لها جذور اجتماعية كما يؤكدون على وجود علاقة بين الاقتصاد والظروف الاجتماعية من خلال التأثير المتبادل بين النظم الاقتصادية والنظم الاجتماعية.

5) علاقة علم الاجتماع بعلم النفس:

يعد علم النفس من العلوم الاجتماعية قديمة النشأة حيث ظهر في أحضان الفلسفة اليونانية، وهو علم يهتم بدراسة سلوك الفرد، وهناك علاقة وثيقة بين العلمين حيث نجد أن علم النفس يعنى بدراسة طبيعة شعور الفرد، بينما يعنى علم الاجتماع بدراسة المجتمع ومقوماته ومشكلاته وبعبارة أخرى علم النفس يهتم بالأبعاد النفسية للسلوك والعلاقات على المستوى الفردي، وعلم الاجتماع يهتم بها في إطارها الجمعي كالعقل الجمعي، التنشئة الاجتماعية، والحراك الاجتماعي والثقافة.

وما يؤكد العلاقة بين العلمين وتداخلهما هو ظهور علم النفس الاجتماعي كأحد فروع علم الاجتماع والذي اتضحت معالمه وتحددت اتجاهاته منتصف القرن العشرين والذي يهدف بالأساس إلى فهم طبيعة العلاقات القائمة بين الفرد والجماعة كما يدل على الدراسة العلمية للسلوك الصادر عن الفرد تحت تأثير المنبهات الاجتماعية المختلفة، فهو عموما يختص بدراسة السلوك عموما تأثيرا وتأثرا اتجاه الآخرين ويهدف إلى استنتاج قوانين نشأته.

ومن خلال ما تم ذكره يمكن القول أن التواصل المرجعي والعلاقات القائمة بين علم الاجتماع ومجموع العلوم الأخرى ما هو إلا تداخل وتشابه بين هاته العلوم وعلم الاجتماع بمختلف ميادينه وفروعه والتي ساهمت أيما مساهمة في بلورة هذا العلم وتحديد ملامحه واتجاهاته العلمية، واستفادت العلوم الأخرى بدورها من هذا العلم في إثراء رصيدها المعرفي فهناك علاقة تأثير وتأثر بين مختلف العلوم الاجتماعية.